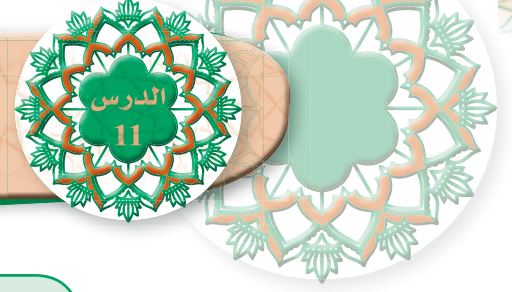


أبو الوليد ابن رشد الحفيد



أهداف الدرس

1. أن أتعرف معالم شخصية أبي الوليد ابن رشد الحفيد؛
2. أن أتبين مساره الفكري ومشروعه الفلسفي؛
3. أن أتمثل أسلوبه في الحجاج والإقناع.

تمهيد

أنجبت بيئة الأندلس جلة من العلماء والمفكرين ، وأثمرت بحضورهم وإسهاماتهم أينع الثمار في بناء مجد الحضارة الأندلسية أصولا وفقها وفلسفة وطبا وأدبا وغيرها ، وأبو الوليد ابن رشد الحفيد القرطبي النشأة والقرار أحد أعمدة الحضارة الأندلسية الفكرية ، ورمز من رموز الفكر الفلسفي الإسلامي بها.

فمن هو أبو الوليد ابن رشد؟ وما مساره الفكري؟ وما مشروعه ومنهجه في الدرس الفلسفي الإسلامي؟

نص الانطلاق

يقول أبو الوليد ابن رشد- عن مشروعية النظر-: «وليس يلزم من أنه إن غوى غاؤ بالنظر فيها، وزل زال، إما من قبل نقص في فطرته، وإما من قبل سوء ترتيب نظره فيها، أو من قبل غلبة شهواته عليه، أو أنه لم يجد معلما يرشده إلى فهم ما فيها، أو من قبل اجتماع هذه الأسباب فيه، أو أكثر من واحد منها أن نمنعها عن الذي هو أهل للنظر فيها، فإن هذا النحو من الضرر الداخل من قبلها هو شيء لحقها بالعرض لا بالذات، وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته أن يترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض». [فصل المقال، ص29]

الفهم

الشرح:

– غوى: زاغ وانحرف.

– بالعرض: العرض ما لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره كالصفة مع موصوفها، ويقابله الجوهر المعبر عنه في النص بالذات.

استخلاص المضامين:

– استخلص من النصين مشروعية النظر الفلسفي والتأويل العقلي عند ابن رشد الحفيد.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: أبو الوليد ابن رشد الحفيد؛ حياته ومكانته العلمية

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد القرطبي النشأة والقرار، ولد سنة 520هـ، درس في بلده قرطبة الأدب، والشريعة، والحكمة، والطب، والرياضيات، نبغ في الفقه والفلسفة، حتى عُرف بالفيلسوف الفقيه، جمع في تكوينه بين المنقول والمعقول، بين الشريعة والحكمة-الفلسفة-، بين النظر والاجتهاد؛ فكان مثالا للعالم المسلم المفكر المجتهد، الذي وقف حياته على العلم، حائزا على منابع الحكمة، يستقيها أنى وجدها، كان أعمق نظرا، وأرسخ فهما، وأوسع أفقا في الدرس الفلسفي الإسلامي.

يقول الصفدي في ترجمته «أبو الوليد ابن رشد القرطبي صاحب المعقول محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد القرطبي حفيد العلامة ابن رشد الفقيه، عرض الموطأ على والده، وأخذ الطب عن أبي مروان بن حَزْبُول، ودرس الفقه حتى برع فيه، وأقبل على علم الكلام والفلسفة وعلوم الأوائل حتى صار يُضرب به المثل، ومن تصانيفه: «كتاب التحصيل» جمع فيه اختلاف العلماء، «شرح كتاب المقدمات في الفقه» لجده، «كتاب الحيوان»، «الكليات في الطب»، «شرح أرجوزة ابن سينا في الطب»، «جوامع كتب أرسطو في الطبيعيات والإلهيات»، «كتاب في المنطق»، «تلخيص الإلهيات لنيقولاوس»، «تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو»، «شرح السماء والعالم لأرسطو»، «تلخيص كتاب الأسطُفسات لجالينوس»، «تلخيص كتاب المزاج»، و«كتاب القوى»، و«كتاب العلل»، و«كتاب التعرف»، و«كتاب الحُمَيَات»، و«كتاب

حيلة البرء»، و«تلخيص كتاب السماع الطبيعي لأرسطو»، وله «تهافت التهافت» رد فيه على الغزالي، و«كتاب منهاج الأدلة في الأصول»، «كتاب فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»، «شرح كتاب القياس لأرسطو»، «مقالة في العقل»، «مقالة في القياس»، «كتاب الفحص في أمر العقل»، «كتاب الفحص عن مسائل وقعت في الإلهيات من الشفاء لابن سينا»، «مسألة في الزمان»، «مقالة فيما يعتقده المشاؤون والمتكلمون من أهل ملتنا»، «كتاب في كيفية وجود العالم متقارب المعنى»، «مقالة في نظر أبي نصر الفارابي في المنطق ونظر أرسطو»، «مباحثات بينه وبين أبي بكر ابن الطفيل في رسمه للدواء»، «مقالة في وجود المادة الأولى»، «مقالة في الرد علي ابن سينا في تقسيمه الموجودات إلى ممكن على الإطلاق، وممكن بذاته»، «مقالة في المزاج»، «مسألة في نوائب الحمي»، «مسائل في الحكمة»، «مقالة في حركة الفلك»، «مقالة فيما خالف فيه أبو نصر أرسطو في كتاب البرهان»، «تلخيص كتاب الأخلاق لأرسطو»، «تلخيص كتاب البرهان»، و«مختصر المستصفي»، و«كتاب في العربية»، و«بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه» علل فيه وجهه، لا يُعلم في فنه أنفع منه، ولا أحسن مساقا، وقيل إنه حفظ ديوان أبي تمام والمنتبي، وكان يُفزع إلى فتياه في الطب، كما يُفزع إلى فتياه في الفقه، مع الحظ الوافر من العربية. وعلى الجملة فما أعلم في تلخيص كتب الأقدمين مثله، وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد ابن مغيث وحُمدت سيرته وعظم قدره... توفي سنة خمس وتسعين وخمس مائة. [الوافي بالوفيات للصفدي 81/2-82 بتصرف]

المسألة الثانية: مشروعية النظر والتأويل في فكر ابن رشد

سبق أن أبا الوليد ابن رشد الحفيد جمع في تكوينه بين المنقول والمعقول، غير أن المتأمل في مشروعه العلمي من خلال مؤلفاته السالفة الذكر يلحظ غلبة الجانب الفكري الفلسفي على مؤلفاته ومشروعه العلمي التألفي، وقد انطلق في هذا المشروع من أساسين اثنين:

1. مشروعية النظر الفلسفي في فكر ابن رشد:

انطلق أبو الوليد ابن رشد في مشروعه النظري العقلي من دليلين:

- **دليل نقلي** هو: دعوة الشريعة إلى اعتبار الموجودات بالعقل، وتطلب معرفتها به في غير ما آية، مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر 2] «وهذا نص على وجوب القياس العقلي، أو العقلي والشرعي معا» [فصل المقال، ص 22] ومثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْصُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف 185] «وهذا نص يحث على النظر في جميع

الموجودات» [فصل المقال، ص22] ويتابع أبو الوليد ابن رشد كلامه في هذا السياق فيقول: «وأعلم الله تعالى أن ممن خصه بهذا العلم وشرفه به، إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يُزَكِّيهِمُ اللَّهُ مَلَائِكَةً خَاسِئَةً يَدْعَوْنَ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [الأَنْعَام 75]».

- دليل عقلي: يركبه أبو الوليد ابن رشد من قياس عقلي شرطي فيقول: «وإذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات، واعتبارها وكان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس، أو بالقياس فوجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي» [فصل المقال، ص23]، ويمثل لذلك فيقول: «فإنه كما أن الفقيه يستنبط من الأمر بالتفقه في الأحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على أنواعها، وما منها قياس، وما منها ليس بقياس، كذلك يجب على العارف أن يستنبط من الأمر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلي وأنواعه، بل هو أحرى بذلك». [فصل المقال، ص25]

إن مشروعية النظر العقلي من خلال الدرس الفلسفي الإسلامي عند ابن رشد ضرورية لمن كان في مستوى مسؤوليتها، تحملاً وأداءً. وقد آنس ابن رشد من نفسه أهلية القيام بهذا الواجب، مدركاً عبء هذه المسؤولية، وعُسر تحملها وأدائها، ولا يلزم من نظر غير المؤهل للنظر في الشريعة بسبب نقص في فطرته، أو سوء ترتيب نظره، أو غلبة شهواته الفكرية، أو كونه لم يجد من يؤهله للنظر، -لا يلزم من كل ذلك- أن يُمنع من النظر في الشريعة من هو أهل للنظر فيها؛ يقول ابن رشد- رحمه الله-: «وليس يلزم من أنه إن غوى غاوى بالنظر فيها، وزلّ زال، إما من قبل نقص في فطرته، وإما من قبل سوء ترتيب نظره فيها، أو من قبل غلبة شهواته عليه، أو أنه لم يجد معلماً يرشده إلى فهم ما فيها، أو من قبل اجتماع هذه الأسباب فيه، أو أكثر من واحد منها أن نمنعها عن الذي هو أهل للنظر فيها، فإن هذا النحو من الضرر الداخل من قبلها، هو شيء لحقها بالعرض لا بالذات، وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته أن يترك لمكان مضرّة موجودة فيه بالعرض». [فصل المقال، ص29]

2. مشروعية التأويل عند ابن رشد:

إن التأويل في خطاب ابن رشد له مكوناته وشروطه وضوابطه؛ فهو تأويل لا يجافي روح النص دلالة ومنطوقاً، ولا ينأى عن الضوابط اللغوية والاصطلاحية. والسبب في مشروعية التأويل هو ما ذكره ابن رشد فقال: «والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق. والسبب في الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينها، وإلى هذا المعنى وردت الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إلى قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. [فصل المقال، ص33-34]

يرى ابن رشد أن الناس في التأويل ثلاث مراتب فيقول: «فإذا الناس في الشريعة على ثلاثة أصناف: صنف ليس هو من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطابيون، الذين هم الجمهور الغالب، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل، يعرى من هذا النوع من التصديق. وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون، بالطبع فقط، أو بالطبع والعادة. وصنف هو من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون، بالطبع والصناعة؛ أعني صناعة الحكمة». [فصل المقال، ص58] وفيما يقبل التأويل من الأقاويل الشرعية ومن هو من أهل التأويل يقول-رحمه الله-: «فإن الأقاويل الشرعية المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع، لها ثلاث خواص دلت على الإعجاز، إحداها: أنه لا يوجد أتم إقناعاً وتصديقاً للجميع منها، والثانية: أنها تقبل النصرة بطبعها إلى أن تنتهي إلى حد لا يقف على التأويل فيها-إن كانت مما فيها تأويل-إلا أهل البرهان، والثالثة: أنها تتضمن التنبيه لأهل الحق على تأويل الحق». [فصل المقال، ص65-66]

التقويم

1. أعرف بشخصية ابن رشد مبرزاً منزلته العلمية؛
2. أبرز مشروعية النظر الفلسفي الإسلامي في خطاب ابن رشد الحفيد؛
3. أبين مشروعية التأويل العقلي وأهميته عند ابن رشد الحفيد.

الاستثمار

يقول ابن رشد: «ولو رام إنسان اليوم من تلقاء نفسه أن يقف على جميع الحجج التي استنبطها النظار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وُضعت المناظرة فيها بينهم في معظم بلاد الإسلام ما عدا المغرب لكان أهلاً أن يُضحك منه؛ لكون ذلك ممتنعاً في حقه، مع وجود ذلك مفروغاً منه، وهذا أمر بين بنفسه، ليس في الصنائع العلمية فقط، بل وفي العملية، فإنه ليس منها صناعة بقدر أن يُنشئها واحد بعينه، فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة؟»

[فصل المقال، ص27-28]

أبين -بعد قراءة متأنية- وظيفة المناظرة في تصحيح المفاهيم والأفكار والقضايا الفلسفية.

الإعداد القبلي

أعرف بابن خلدون وتراثه الفكري.